

## المحاضرة السابعة: السياق التاريخي لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة

### محتوي المحاضرة:

#### مقدمة

1-السياق التاريخي لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة

2- صراع بين العياديين والمهتمين بالجانب الاجتماعي للضحايا.

3-اضطراب ضغط ما بعد الصدمة كاستجابة بيولوجية:

#### خاتمة

### أهداف المحاضرة:

إظهار الجدل حول بين العياديين والمهتمين بالجانب الاجتماعي للضحايا من خلال السياق التاريخي لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة، وما له من تأثير على التكفل بالاضطراب لاحقا.

### الأدوات المستعملة في المحاضرة:

مطبوعة المحاضرات.

الصدورة للشرح.

#### مقدمة

حسب Yehuda وآخرون (1995) فإن فكرة الضغط يمكن أن يؤدي إلى اضطرابات سايكاترية عند الأفراد العاديين فكرة قديمة مقارنة بالتصنيفات النوزوغرافية السايكاترية، فمثلا قبل النظرية اللييدية للعصابات، ارجع Freud الهستريا في البداية إلى مصدر صدمي، ومع استبعاده لهذه الفكرة فيما بعد لصالح أفكار تطورية، بقي يصرّ على أن ظاهرة الاستجابات للصددمات الحالية (العصاب الصدمي) يمكن أن تتميز عن تلك العصابات الناتجة عن التثبيات التطورية. وأيضا نتائج الدراسات التي أجريت على مخيمات الأسرى التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية كانت دعما لفكرة أن التعرض للصدمة يمكن أن يخلف عواقب سلبية على الصحة العقلية.

### 1-السياق التاريخي لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة

بدأ الأمر حين كان المشكل الذي كان مطروحا لم يتعلق بكون الضغط الشديد أو الصدمة يؤدي إلى أضرار نفسية أم لا ؟ بل كان السؤال كيف يجب أن ينظر إلى هؤلاء اللذين تعرضوا إلى صدمات وكيف يجب أن يعاملوا من طرف حقل الصحة العقلية؟ وهل علينا رؤية ضحايا الصدمات كأشخاص متضررين نفسيا؟ أم أنه من الأحسن جعل الصدمة جزء من التجارب

الإنسانية الوجودية والتعامل مع الاستجابات إليها كاستجابات عادية للتكيف مع اعتداءات المحيط؟

كل من هاتين الصياغتين كان لهما عواقب مختلفة فيما يخص التكفل بضحايا الصدمات، بالإضافة إلى كونها تتسبب في مشكل سياسي، اجتماعي وأخلاقي وخاصة مع فئات خاصة من المصدومين (ضحايا التعذيب والقمع السياسي،..).

هذه الفكرة القائلة أن الضغط استجابة عادية للصدمة هي أولى الأفكار المشككة لمفهوم اضطراب ضغط ما بعد الصدمة Post traumatic stress disorder، فكانت سبب صراع بين العياديين والمهتمين بالجانب الاجتماعي للضحايا.

## 2- صراع بين العياديين والمهتمين بالجانب الاجتماعي للضحايا.

العياديون واصلوا جمع الملاحظات وخاصة المتعلقة بندرة الاضطرابات بعد التعرض لصدمة، وتلك المتعلقة بوجود عوامل خطر غير التعرض الصدمي، كمنبآت بال PTSD وملاحظات عن ال PTSD كاستجابة غير نمطية، مقابل فكرة أنه استجابة بيولوجية عادية للضغط، ومعطيات عن الانتشار والتلازم المرضي القلبي والبعدي.

فأصبح محور اهتمام حقل الضغط بعد الصدمي منصب على توضيح وفهم الغموض والمستجدات التي ظهرت خلال الـ 15 سنة الأخيرة من خلال إعادة صياغة المشاكل المتعلقة بال PTSD كاضطراب يسمح بتميز آثار العوامل المحيطة في نشوء العرض السايكاتري، وفهم دور الضغط في المرض العقلي.

ففي البداية وضمن الانتشغال بالبحث عن فهم أدق لأيتيولوجية الاضطرابات بعد الصدمية، ومدى إمكانية التوصل إلى تشخيص موحد، يسهل عمل الممارسين في ميدان الصحة العقلية، أشار DSM I إلى استجابة ضغط كبرى A gross stress reaction وأشار DSM II إلى اضطراب موقفي عابر Transient situational disturbance في محاولة لوصف العرضية الحادة والمعاناة التي تظهر بعد التعرض لعنف شديد، بينما كانت هناك اضطرابات أعمق تصنف في فئة العصابات الحصرية والإكتآبية، سواء كانت ناتجة عن تثبيات تطويرية أو عن استعداد جيني، ولم يكن مفهوم الضغط المحيطي (الخارجي) في تلك المرحلة سوى عامل ثانوي غير مميز، يمكن أن يزيد تقاوم أو يطيل تلك الأعراض السايكاترية .

بينما نجد في الدليل التشخيصي الأحصائي في طبعته الثالثة (1987) أن مصطلح العصاب قد إختفى وكان هذا جزء من الانشغال بعدم الانتماء أو التحيز لأي مرجع نظري، ومن أجل إيجاد

حل لمشكل تصنيف فئات عديدة من الناس طوروا أعراض مزمنة أو طويلة المدى بعد تعرضهم لأحداث عنيفة، (Andreasen,80 & Horowitz,86 In Yehuda & all 1995)

ظهر تشخيص تحت اسم " تناذر ضغط ما بعد الصدمة "، وقدم على أنه استجابة تدخل في سياق التكيف العادي اتجاه وضعيات عنيفة وخارجة عن نطاق التجارب الإنسانية المألوفة، ولم تفسر مجموع الأعراض بضعف أو هشاشة أو استعداد بنيوي، كما هو عليه الحال في العصاب الصدمي، وكان هذا تعزيزاً لفكرة أن الضغط قد يؤدي إلى معاناة ساكاترية لدى الأفراد (Yehuda & all, 1995).

أما في طبعته الرابعة فتجددت بصفة أكثر دقة معايير التشخيص، حيث ميزت الاضطرابات الحادة (Acute stress disorder) ACD عن الـ PTSD باعتباره إزمان، وفي هذه المرحلة يسمى الاضطراب عصاباً صدمياً عند الممارسين الفرنسيين (Damiani, 1997, p111). رغم أن العصاب الصدمي تشخيص قائم على دراسة حالات بينما تشخيصات الدليل التشخيصي الإحصائي فمعرفة إحصائياً بتكرار حدوث الحدث والأعراض الملاحظة على عينة مرجعية واسعة من الناس.

عرّف الدليل الإحصائي للتشخيص في طبعته الثالثة DSM III للحدث الصدمي على أنه " تجربة خرجت عن نطاق التجارب الإنسانية وتكون هدامة وخطيرة على غالبية الأفراد ". كان يستلزم أن كل اضطراب يظهر بعد التجربة الصدمية يفسر بالرجوع إليها، غير أن العديد من الباحثين رأوا أن خصائص الحادث ليست العوامل الوحيدة المؤثرة على التكيف والتوازن النفسي، حيث أنه من الصعب إعطاء تعريف لما هي التجربة الخارجة عن نطاق التجارب الإنسانية المعتادة، فأعراض اضطراب ضغط ما بعد الصدمة يمكن أن تظهر بعد مجموعة من الضغوط وأي تعريف قبلي لخصائص مميزة للضغوط أو الصدمات التي من الممكن أن تخلق اضطراب ضغط يبدو غير صادق (B.S Gershuny & J.F.Thayer,1999 pp 632-633).

ولهذا أصبح الدليل التشخيصي الإحصائي في طبعته الرابعة (DSMIV)، يعرف الحدث الصدمي على أنه تلك الوضعية التي تسبب الموت أو تهدد به، وتسبب جروح وإصابات خطيرة، تضع السلامة النفسية والجسمية للذات والأقارب في خطر، ويستجيب لها الفرد بالرعب والانهيار (فقدان التحكم). (Gershuny & Thayer, 1999, pp 632-633).

وحسب الجمعية الأمريكية للطب العقلي APA ؛ أي شخص تعرض لحادث لهذه الشدة يمكن أن يطور أعراض الضغط، ويبدأ الحديث عن اضطراب ضغط بعد صدمي PTSD عندما يطول

الأمد بالاضطراب أكثر من شهر ففي الشهر الأول يسمى الاضطراب حالة الضغط الحاد ASD. ويشخص اضطراب ضغط ما بعد الصدمة من خلال مجموعات أعراض مميزة تشمل: أعراض إعادة معايشة الحدث الصدمي بصفة مستمرة وملحة، أعراض تجنب كل ما يرمز للحدث الصدمي وأعراض تزايد الاستثارة. (Lebel, . Paquette, 2000, pp 1-7)

### 3- اضطراب ضغط ما بعد الصدمة كاستجابة بيولوجية:

نتائج الدراسات حول بيولوجية الضغط كانت حجر الزاوية في اعتبار اضطراب ضغط ما بعد الصدمة استجابة عادية اتجاه الاعتداءات والصدمات. لكن كان هذا السبب في العديد من المناقشات السياسية والاجتماعية التي أحاطت بنشأة تشخيص مجموعة الأعراض التي يظهرها الأفراد بعد الصدمات. وفي ظل غياب الكثير من المعطيات عن عواقب الصدمات، نجد حقول بحث ونظريات عديدة تدعم المفهوم الأول لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة .

فخلال سنوات تطور الدراسات البيولوجية الأمبريقية حول الضغط بعد الصدمي، معظم المنظرين افترضوا أن التغيرات النوروبولوجية في هذه الاضطرابات يمكن أن تكون مشابهة لتلك الملاحظة في الدراسات التي تبحث في نوربيولوجية الضغط.

وبصفي خاصة ، فكرة H.Selye حول تسبب الاعتداءات المحيطية في استجابة بيولوجية للضغط، والتي تعتبر ملاحظة علمية تدعم فكرة بيولوجية الـ PTSD وتنتفي أنه نشأ بسبب الحاجة إلى إيجاد تعويض ودفاع عن الضحايا، وأكثر من ذلك فالصياغة التي قدمها H.Selye لم تأخذ بعين الاعتبار قائمة الأحداث السياسية والاجتماعية كعوامل هشاشة بالنسبة للضحايا كونها تركز على مسؤولية المعتدي في سببية الاضطراب .

مفهوم الضغط كاستجابة بيولوجية كان برهان مصاد يعكس الانتقاد الموجه لـ PTSD على أنه ظهر كموضة سياسية وفلسفية، حيث برهن أن الاستجابة البيولوجية للصدمة تعكس سياق فيزيولوجي طبيعي.

حقل ثاني متفق مع أفكار H.Selye حول الضغط ، وهو حقل الأبحاث حول الأحداث الحياتية . هذا الحقل قدم ركيزة غير مباشرة لمفهوم الـ PTSD كاستجابة ضغط عادية، بإبراز علاقة مؤقتة بين الأحداث الحياتية والاعتداءات السلبية من جهة، وتطوير أعراض سايكاترية وجسمية من جهة أخرى. وأيضا حقل التدخل في الأزمات وحقب البحث حول الحداد قدّما سند عيادي للملاحظة القائلة: أن الأحداث الصدمية العابرة يمكن أن تنتج أعراض تحتاج إلى تدخل علاجي. هذه الميادين كانت مهمة بالنسبة للصحة العقلية من خلال دعمها لمفهوم الـ PTSD

، بحيث شكلت أدبيات التدخل في الأزمة الأساس المفاهيمي لرؤية الـ PTSD المزمن كإيمان  
لاستجابة عادية للضغط ونفس الشئ قدمه استعمال debriefing كتدخل علاجي مباشرة بعد  
التعرض للصدمة. كل هذه الميادين أثرت إيجابيا في المفاهيم الأولى للـ PTSD وربط هذه  
المفاهيم بالمعارف الحالية يحتاج لإعادة تقييم . مثال: المعطيات الأمبريقية حول بيولوجية الـ  
PTSD تقترح صياغة تختلف عن صياغة H.Selye دراسات الانتشار ودراسات المسار  
والتلازم، أظهرت مشاكل فيما يخص دور الضغوط كعامل سببي حقيقي في تطوير الاضطراب،  
بالإضافة إلى اكتشافات حديثة تتحدى فكرة أن الحدث الصدمي هو السبب الوحيد في أعراض الـ  
PTSD ، وبالتالي فهي تتحدى فكرة أن الـ PTSD استجابة ضغط نمطية مقابل معطيات  
أخرى تقدمها في الأساس البيولوجي للـ PTSD تدعم بقوة فكرة أن الـ PTSD إستجابة بيولوجية.

#### خاتمة:

رغم الجدل القائم في هذا مجال فلا احد يمكن أن يخفي الآثار الضارة لهذا التناذر وضرورة  
التكفل والعناية به كما سنفصل فيه في آخر محاضرتين.